### المطلب الثاني عشر

## أثر الوقف على تعليم الحِرف

إن تعاليم الإسلام تؤكد على أهمية العمل والسعي في الأرض لتحصيل الرزق الذي من خلاله يتحقق عفاف الإنسان عن مسألة الناس، ويستطيع أن ينفق على أسرته ويحمي نفسه وأولاده من الانزلاق في الرذيلة، أو أي نوع من أنواع الانحراف.

ولا شك أن للإيمان أثره العظيم في حماية الإنسان من الوقوع في الرذيلة، ومع ذلك فإن للفقر خطره في انحراف بعض الفئات، لذا فإن تعليم الحرف أسلوب دعوي عملي له دوره الفعّال في الوقاية من سبل الانحراف وتفكك المجتمع، وقبل أن أتحدث عن هذه الوسيلة الدعوية أرى مناسبة الاستئناس ببعض النصوص الشرعية في الحث على العمل.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[1] .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله:"أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً إلا أن ييسره الله لكم، ولهذا قال: ﴿ وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ فالسعي لا ينافي التوكل" [2].

يقول ابن سعدي يرحمه الله: "أي هو الذي سخر لكم الأرض وذلّلها لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم" [3].

إن الإنسان مأمور بالسعي في الأرض لأجل تحصيل رزقه الذي قدره الله تعالى له، ومن جملة السعي في تحصيل الرزق تعلم الحرف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فالله سبحانه وإن كان قد ضمن للعبد رزقه فهذا

---

( ١ ) سورة الملك الآية١٥.

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم-ص١٩٠٠-ط١-١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م- دار ابن حزم- بيروت.

( ٣ ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-ص٨٧٧.

لا يمنع أن يكون ذلك الرزق المضمون لـــه أسباب تحصل من فعل العبد وغير فعله، فقد يرزقه حلالاً وحراماً فإذا فعل ما أمر به رزقه حلالاً، وإذا ترك ما أمره به فقد يرزقه من حرام" (١)

وقـــال أيضاً:"والسعي سعيان: سعي فيما نصب للرزق كالصناعة والزراعة والتجارة، وسعي بالدعاء والتوكل والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك، فإن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" (٢).

إن تعلم الإنسان للحرفة باب هام لتحصيـــل الرزق وقد كان للأنبياء بعض الحرف، قال تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (٣) .

إشـــارة إلى أن داود عليه السلام كـــان يصنع الدروع ويكف عن نفسه الحاجة إلى الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس" (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(كان زكريا نجاراً) (٥).

قـــال الـــنووي –رحمه الله–: "قوله ﷺ:– (كان زكريا نجارًا) فيه جواز الصنائع وأن الـــنجارة لا تسقط المروءة وأنها صنعة فاضلة وفيه فضيلة لزكريا ﷺ فإنه كان صانعًا يأكل من كسبه" (٦).

لقد كان رسول الله ﷺ يشتغل بالتجارة قبل الإسلام، كما في قصة خروجه إلى الشام بتجارة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها " (٧).

---

( ١) انظر: مجموع الفتاوى ٨/٥٣٠.

( ٢) المرجع السابق ٨/٥٤١.

( ٣) سورة الأنبياء الآيتان ٧٩-٨٠.

( ٤) انظـــر: الجامع لأحكام القران– للقرطبي–١١/٣٢١– تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني –ط٢–١٣٧٢هـــ– مؤسسة دار الشعب– القاهرة.

( ٥) صحيح مسلم– كتاب الفضائل–باب في فضائل زكريا عليه السلام– حديث رقم٢٣٧٩.

( ٦) انظر:– صحيح مسلم بشرح النووي –١٥/١٣٥.

( ٧) انظر: فتح الباري لابن حجر–٧/١٣٤.

وعـــن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:(ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة) [1].

وعـــن عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنهما قالت: لما استخلف أبو بكر الصديق قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين فيه" [2].

إن هـــذه النـــصوص الشرعية تؤكد على أهمية العمل، والاشتغال بأي حرفة مشروعة ومناســـبة للإنسان في سبيل حمايته من مشاكل الفقر والعوز، وما يترتب عليها من انحراف في المجتمع.

ولمـــا كان الوقف يعمل على تحقيق التكافل الاجتماعي وسد الثغرات في المجتمع، فإنه يمكن أن يسهم في علاج مشاكل البطالة وما يتبعها من فراغ قد يدفع بالإنسان إلى مشكلات كبيرة، لذا يمكن إنشاء مراكز تدريب مهني وتأهيل فني في شتى المهن التي يحتاجها سوق العمل في المجتمع وفي نظري أن ذلك يسهم في علاج جوانب اجتماعية كثيرة، منها على سبيل المثال: سد احتياجات المجتمع لبعض المهن بتأهيل العمالة الوطنية المدربة وهذا باب هام وضروري.

كمـــا تـــسهم في حل مشكلات البطالة من خلال تأهيل الشباب التأهيل العملي والمهني المناســـب، وإن ذلـــك يجنب المجتمع مشكلات انحراف الشباب وتطرفهم، ويحقق أيضاً دخلاً اقتـــصادياً مناسباً لمن يتم تأهيلهم في مراكز التدريب المهني وتعليمهم الحرف، ويسهم في دفع عجلـــة التنمـــية، ويمكـــن تحقيق ذلك من خلال الوقف على مثل هذه المراكز والورش الفنية المتخصصة التي يتم من خلالها تأهيل الشباب الذي يعاني من الفراغ، أو المساجين بعد خروجهم من السجن أو يتم تأهيلهم داخل مراكز تدريب خاصة داخل السجون وبالتالي يخرج الفرد من السجن مؤهلاً للالتحاق بأي عمل شريف.

ولا شك أن مسألة التأهيل والتدريب على تعلم الحرف تحتاج إلى أن يتبنى المحسنون مثل هذا المشروع الهام والضروري، وذلك بأن توقف عليه أوقاف خاصة، أو تقوم بعض المؤسسات

---

( ١) سبق تخريجه ص١٦١.

( ٢) صحيح البخاري – كتاب البيوع- باب "كسب الرجل وعمل يده" حديث رقم٢٠٧٠.

الخيرية بطرح أسهم وقفية على مثل هذا المشروع، ويتم تفعيل ذلك وفي ذلك فوائد عظيمة إن شاء الله تعالى على الفرد والمجتمع.

وقد قدّم الإسلام حلولاً عملية لمواجهة الفقر والبطالة فعن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ يسأله فقال:(لك في بيتك شيء قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقدح نشرب فيه الماء، قال: ائتني بهما قال: فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده ثم قال: من يشتري هذين؟ فقال: رجل أنا آخذهما بدرهم قال: من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثاً قال: رجل أنا أخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به، ففعل فأخذه رسول الله ﷺ فشد فيه عوداً بيده وقال: اذهب فاحتطب ولا أراك خمسة عشر يوماً، فجعل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فقال: اشتر ببعضها طعاماً وببعضها ثوباً ثم قال هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو دم موجع) [1].

لقد قدّم النبي ﷺ حلاً عملياً للرجل الذي جاء سائلاً يعاني الفاقة والفقر بأن وجهه بعد سؤاله عما يملك بأن يأتيه بالحلس والقدح فباعهما النبي ﷺ ثم أمره أن يشتري بدرهم طعاماً لأهله وبالدرهم الثاني قدّوماً، ثم شرع النبي ﷺ في تعليمه حرفة الاحتطاب؛ كي يواجه الحياة العملية ويسعى ويجد ويجتهد في ذلك، وهذا أصل في مشروع رفع العوز عن المحتاجين.

فالنبي ﷺ قدّم الحل العملي لتلك المشكلة ولغيرها وبين كيفية المواجهة بالحلول العملية الميسورة.

لذا ينبغي التأكيد على أهمية الوقف على مراكز التدريب المهني التي تعمل على تعليم الحرف والمهن التي يتأهل من خلالها الإنسان ويسهم في بناء مجتمعه.

---

(١) سنن ابن ماجه- كتاب التجارات- باب بيع المزايدة- حديث رقم ٢١٩٨- سنن أبي داود- كتاب الزكاة- باب ما تجوز فيه المسألة حديث رقم ١٦٤٠- سنن الترمذي – كتاب – البيوع- باب ما جاء في بيع من يزيد- حديث رقم ١٢١٨- قال الترمذي: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث الأخضر ابن عجلان قال يحيى بن معين عنه: صالح وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه (عون المعبود شرح سنن أبي داود – محمد شمس الحق العظيم أبادي- ٥/٣٨- ط١- ١٤١٠هـ- دار الكتب العلمية- بيروت).